النفحة السابعة عشرة: غزوة بدر الكبرى

في شهر رَمَضَانَ المبارك من السنة الثانية للهجرة، نصر الله المسلمين وأعز دينه، وهزم معسكر الكفر والكافرين في أعظم معركة في تاريخ الإسلام، إنها «**غزوة بدر الكبرى**» وكانت معركة فاصلة حتى سمي ذلك اليوم بيوم الفرقان، الذي فرّق فيه الحق تبارك وتعالى بين الحق والباطل، وحري بنا أن نسوق أبرز[1] أحداث المعركة، ونسجل بعض الدروس المستفادة منها. . .

كان سبب الغزوة أن النبي ﷺ بلغه، أن أبا سفيان قد توجه من الشام إلى مكة بعير قريش. . . لم يطل العهد بتلك العِير العظيمة التي خرج لها ﷺ، وهي متوجهة إلى الشام، فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها، فلما سمع برجوعها نَدَبَ إليها أصحابَهُ، وقال: «**هذه عيرُ قريش فاخرجوا إليها لعلّ الله أن ينفلكموها**»، فأجاب قوم، وثَقُلَ آخرون، لظنهم أن الرسول ﷺ لم يُرِدْ حرباً، فإنه لم يحتفل بها بل قال: «**مَن كان ظهره حاضراً فليركبْ معنا**»، ولم ينتظر من كان ظهره غائباً.

فخرج بعد أن ولّى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم، وكان معه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: مئتان ونيف وأربعون من الأنصار، والباقون من المهاجرين، ومعهم فَرَسان، وسبعون بعيراً يعتقبونها، والحامل للواء مصعب بن عمير العَبْدري، ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول ﷺ استأجر راكباً ليأتي قريشاً ويخبرهم الخبر، فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم، وخافوا على تجارتهم، فنفروا سِراعاً ولم يتخلف من أشرافهم إلّا أبو لهب بن عبد المطلب، فإنه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة، وأراد أمية بن خلف أن يتخلّف لحديث حدّثه إياه سعد بن معاذ، حينما

(1) ذكر غزوة بدر أصحاب السير والمغازي والتاريخ والسنن والتفسير، وقد اقتبست أحداث المعركة من عدة كتب، أهمها: السيرة الحلبية 2/ 352، ونور اليقين ص114 وما بعدها، وزاد المعاد، 1/ 940.

كان معتمراً بعد الهجرة بقليل، حيث قال: سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**» قال: بمكة؟ قال: لا أدري، ففزع لذلك وحلف ألّا يخرج، فعابه أبو جهل، ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة، فإن منيته ساقته إلى حتفه رغم أنفه.

وكذلك عَزَمَ جماعةٌ من الأشراف على القعود فَعِيْبَ عليهم ذلك، وبهذا أجمعتْ رجالُ قريش على الخروج، فخرجوا على الصعب والذلول، أمامهم القَيْنات يغنين بهجاء المسلمين. ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: 48]، وكان عدد من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير.

أما رسول الله ﷺ فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون، ولم يكن خروجه إلّا للعير، فعسكر ببيوت السُّقْيا خارج المدينة، واستعرض الجيش فردَّ مَنْ ليس له قدرة على الحرب، ثم أرسل اثنين يتجسسان الأخبار عن العير، ولما بلغ الرَّوْحاء جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم، وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدراً غداً أو بعد غد، فجمع ﷺ كبراء الجيش وقال لهم: «**أيها الناس إنَّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين أنها لكم: العير أو النفير**» فتبين له ﷺ أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير، ليستعينوا بما فيها من الأموال، فقد قالوا: هلاّ ذكرت لنا القتال فنستعد، وجاء مصداق ذلك قوله في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: 7].

ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال: يا رسول الله امضِ لما أمرك الله، فواللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، واللّه لو سرت بنا إلى بَرْكَ الغِمَاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه،

فدعا له بخير، ثم قال ﷺ: **«أشيروا عليّ أيها الناس»** وهو يريد الأنصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها، أنه لا تَجِب عليهم نصرته إلّا ما دام بين أظهرهم، فإن فيها: يا رسول الله إنّا بُرآء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فقال سعد بن معاذ، سيد الأوس: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ فقال: **«أجل»** فقال سعد: قد آمنا بك وصدّقناك، وأعطيناك على ذلك عهودنا، فامضِ لما أمرك الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً، إنّا لصُبُر عند الحرب، صُدُق عند اللقاء، ولعلّ الله يُريك منّا ما تقرّ به عَيْنُك، فسر على بركة الله، فأشرق وجهه ﷺ، وسُرّ بذلك، وقال كما في رواية البخاري: **«أبشروا والله كأني أنظر إلى مصارع القوم»**.

فَعلم القومُ من هذه الجملة أن الحرب لا بدّ حاصلة، وحقيقةٌ حصلت، فإن أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة، وسار متّبعاً ساحل البحر فنجا، وأرسل إلى قريش يُعلِمهم بذلك، ويشير عليهم بالرجوع، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم فيه ثلاثاً: ننحر الجَزور، ونطعم الطعام، ونُسقي الخمر، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً، فقال الأخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم: ارجعوا يا قوم، فقد نجّى الله أموالكم فرجعوا، ولم يشهد بدراً زهري ولا عدوي، ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر، فنزلوا عدوته القصوى عن المدينة في أرض سهلة لينة.

وبعث النبي ﷺ علياً وسعداً والزبير إلى بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله قائم يصلي، فسألهما أصحابه: من أنتما، قالا: نحن سقاةٌ، فكره ذلك أصحابه، وودّوا لو كان لعير أبي سفيان، فلما سلم رسول الله ﷺ قال لهما: **«أخبراني أين قريشٌ»** قالا: وراء هذا الكثيب، فقال: **«كم القوم»**؟ فقالا: لا علم لنا، فقال: **«كم ينحرون كل يوم»**؟ فقالا: يوماً عشراً، ويوماً تسعاً، فقال رسول الله ﷺ: **«القوم ما بين تسعمائة إلى الألف»**.

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي، فشربوا واتخذوا الحِياض على

عُدْوَةِ الوادي، واغتسلوا وتوضؤوا وملؤوا الأسقية، ولبدت الأرض، حتى ثبتت عليها الأقدام، على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين، فإنه وَحَّل الأرض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال، ومصداق هذا قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: 11] وقد أرى الله رسوله في منامه الأعداء، كما أراهموه وقت اللقاء قليلي العدد، كيلا يفشل المسلمون، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: 43، 44].

ثم خرج رسول الله يبادرهم ـ أي يسابق قريشاً إلى الماء ـ فسبقهم عليه، حتى جاء أدنى ماء من بدر، أي أقرب ماء إلى بدر من بقية مياهها فنزل به. فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**» قال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل؛ فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، أي إذا نزل القوم: يعني قريشاً كان ذلك الماء أقرب المياه، أي محله أقرب المياه إليهم، قال الحباب: فإني أعرف غزارة مائة وكثرته بحيث لا ينزح، فننزله ثم نغور ما عداه من القلب: وهي الآبار غير المبنية، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون؛ لأن القلب كلها حينئذٍ تصير خلف ذلك القليب، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي**»، ونزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: الرأي ما أشار إليه الحباب، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى أدنى ماء من القوم من المحل الذي ينزل به القوم، فنزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغورت.

وقال سعد بن معاذ: يا نبي الله ألا نبني عريشاً، وهو شيء كالخيمة من جريد

يستظل به، تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، إنما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير، وقال: «**أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد**»، أي وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم، ثم بني العريش لرسول الله ﷺ فوق تل مشرف على المعركة كان فيه.

وعن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه قال لجمع من الصحابة: أخبروني عن أشجع الناس؟ قالوا: أنت، قال: أشجع الناس أبو بكر، لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله عريشاً فقلنا: مَن مع رسول الله؟، أي مَن يكون معه لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فواللّه ما دنا منا أحد إلّا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلّا أهوى إليه، ولذلك حكم عليّ أنه أشجع الناس.

ولما رأى رسول الله ﷺ قريشاً وقد أقبلت بالدروع الساترة والجموع الوافرة والأسلحة الشاكية أي التامة قال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها** ـ أي كبرها وعجبها وفخرها ـ **تجادلك** ـ أي تعاديك وتخالف أمرك وتكذب رسولك ـ **فنصرك** ـ أي أنجز نصرك ـ **الذي وعدتني**» وفي لفظ: «**اللّهم إنك أنزلت عليّ الكتاب وأمرتني بالثبات، ووعدتني إحدى الطائفتين، وقد فاتت إحداهما وهي العير وإنك لا تخلف الميعاد، اللّهم أحِبهم** ـ أي أهلكهم ـ **الغداة**» وفي رواية: «**اللّهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة، اللّهم لا تفلتن زمعة بن الأسود، اللّهم واسخن عين أبي زمعة، وأعم بصر أبي زمعة، اللّهم لا تفلتن سهيلاً**».

ثم إن الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وهو أخو أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وكان رجلاً شرساً، سيىء الخلق، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، قال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنّه، أو لأموتن دونه، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطل قدمه بنصف ساقه، أي أسرع

قطعها، فطارت وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، أي وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد أن يبر يمينه، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض، وأقبل نفر من قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام.

وعند ذلك نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبي ﷺ: «**قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي**، وفي لفظ: «**قوموا يا بني هاشم فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم، إذ جاءوا ببطلانهم ليطفئوا نور الله، قم يا عبيدة بن الحرث، قم يا حمزة، قم يا علي**»، فلما قاموا ودنوا قالوا لهم: مَن أنتم؟، لأنهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح، قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ، قالوا: نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة بن الحارث ـ وكان أسنّ القوم، كان أسنّ من النبي ﷺ بعشر سنين ـ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة، وأما علي فلم يمهل أن قتل الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فذففاه، واحتملا صاحبهما فجرّاه إلى أصحابه، وأضجعوه إلى جانب موقفه، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريفة فوضع خده عليها، وقال له رسول الله ﷺ: «**أشهد أنك شهيد**»، أي بعد أن قال له عبيدة: ألست شهيداً يا رسول الله؟ فتوفي في الصفراء، ودفن بها عند مرجع المسلمين إلى المدينة.

وبعد انقضاء هذه المبارزة، وقف ﷺ بين الصفوف يعدِلها بقضيب في يده، فمرّ بسواد بن غَزِية حليف بني النجار وهو خارج من الصف، فضربه بالقضيب في بطنه وقالَ: «**استقم يا سواد**»، فقال: أوجعتني يا رسول الله وقد بُعثت بالحق والعدل فَأَقِدْني من نفسك، فكشف الرسول ﷺ عن بطنه، وقال: «**استقد يا سواد**»، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه، فقال ﷺ: «**ما حملك على ذلك؟**» فقال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردتُ أن يكون آخر العهد أن يمسّ جلدي جلدَك، فدعا له بخير، ثم ابتدأ ﷺ يوصي الجيش فقال: «**لا تحملوا حتى آمركم، وإن اكتنفكم القوم**

فانضحوهم بالنبل ولا تَسُلُّوا السيوف حتى يَغشَوكم»، ثم حضّهم على الصبر والثبات، ثم رجع إلى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر، وحارسه سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه، وكان من دعاء الرسول ﷺ ذاك الوقت: «**اللّهمّ أنشدك عهدك ووعدك، اللّهمّ إن شئت لم تُعبد**» فقال أبو بكر: حَسْبُك فإن الله سينجز لك وعده، فخرج ﷺ من العريش وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القَمَر: 45].

ثم حمي الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه ﷻ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجزٌ لك ما وعدك.

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «**أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع**».

وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيّد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين.

وقد أمر ﷺ بالقتلى فنُقلوا من مصارعهم التي كان الرسول ﷺ أخبر بها قبل حصول الموقعة إلى قليب بدر، لأنه ﷺ كان من سُننه في مغازيه إذا مرّ بجيفة إنسان أمر بها فدفنت، لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً، ثم أمر ﷺ براحِلته فشُدَّ عليها حتى قام على شَفَةِ القليب الذي رمى فيه المشركون، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسرّكم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟** فقال عمر: يا رسول الله ما تُكَلّمُ من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال: «**والذي نفسُ محمد بيده ما أنتم بأسمَعَ لما أقولُ منهم**»، يقول: «**يعلمون ذلك حينما تبوّؤوا مقاعدهم من النار**».

ثم ارتحل مؤيداً منصوراً، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسارى والمغانم، فلما كان بالصفراء، قسم الغنائم، وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة، ثم لما نزل بعرق الظبية، ضرب عنق عقبة بن أبي معيط.

ودخل النبي ﷺ المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه كلّ عدوٍ له بالمدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة.

• • •

اسـرى بـــدر

ولما دخلوا المدينة استشار ﷺ أصحابه فيما يفعل بالأسرى، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله قد كذّبوك وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكّنني من فلان ـ لقريب له ـ فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه العباس، وعلياً من أخيه عقيل، وهكذا حتى يعلم الناس أنه ليس في قلوبنا مودّة للمشركين، ما أرى أن تكون لك أسرى، فاضرب أعناقهم، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد اللّه بن رواحة، وقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم، أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم بك فيكونوا لك عضداً.

فقال ﷺ: «**إن الله ليلّين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتى تكون أشدّ من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: 36]. وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: 26]**» ورأى ﷺ رأي أبي بكر بعد أن مدح كلاً من الصاحبين، لأن الوجهة واحدة وهي إعزاز الدين، وخذلان المشركين، ثم قال لأصحابه: «**أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلّا بفداء**» وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه رسول الله ﷺ في أمر الأسرى، فناحت على القتلى شهراً، ثم أشير عليهم من كبارهم ألّا يفعلوا كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم، فسكتوا وصمّموا على ألا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم، وتواصوا فيما بينهم ألّا يعجلوا في طلب الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه.

□ **الدروس والعبر:**

وهكذا إخواني نصر الله دينه، وأعزّ جنده، وحطم كبرياء الشرك، وهشَّم قواهم، وسجل التاريخ هذا الانتصار الإسلامي الفذ الفريد، وعاد النبي ﷺ والركب المشرق حوله إلى المدينة المنورة مشرئبِّي الهامات، معتزين بنصر الله تعالى وتأييده لهم، ولنا أن نوجز ونعدد تعداداً بعض ما نستفيده نحن اليوم من هذه المعركة العظيمة:

1 الصبر والتقوى ركيزتان من أبرز ركائز النصر والظفر، لأن الصبر مفتاح الفرج، ولا عزاء لمن صُبت عليه المحن والبلايا إلّا بالصبر، وهذا العزاء كان حليفاً للمسلمين يوم بدر كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾ [آل عمران: 125].

وكذلك التقوى، فإنها دفعت الصحابة الكرام إلى الشهادة والاستبسال في سبيل رفع راية الحق، ونلمس هذا عندما سمع الصحابي الجليل عمير بن الحمام رضي الله عنه النبي ﷺ يقول: «**قوموا إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض**» فرمى بتمرات في يده يأكلها وقال: إني إنْ حييت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة.

ونحن نقول لأمة الإسلام في هذا الزمان صبراً صبراً، فمهما اشتدت عليكم البلايا، وطوقتكم المدلهمات من المؤامرات والنكبات، فإن الفرج لا شك قريب، والنصر لا محالة آت، ولكن استعينوا على المآسي التي تجدون بالصبر والتقوى، فلابدّ أن يعقب الشدة فرج، والعسر يسر، ولابدّ أن يعقب ظلام الليل ضياء الصباح.

2 ومن العبر أن النصر بيد الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [الأنفال: 10].

والنصر أبداً لا يأتي من كثرة عدد ولا عدة، فالمشركون في غزوة بدر كان

عددهم يفوق عدد المسلمين بأضعاف، ولكن هل أغنت عنهم كثرتهم شيئاً؟ ومع الإيمان الجازم بأن النصر من عند الله، فإن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نعد العدة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60]، وأن نستعد لأسباب النصر بكل ما أوتينا من قوة ومن رباط الخيل، فإن اليقين بموعود نصر الله تعالى، لا يعني تواكلنا وعزوفنا عن دراسة الواقع والاستعداد لكل حدث.

3 القوة في الوحدة والتآخي، وهذا ما لمسناه في غزوة بدر، حيث كان أصحاب النبي ﷺ متآزرين متحدين، لا يشرخ صف وحدتهم نازغ مادي ولا تيار شهواني، صف مرصوص، وجسد واحد، وقلب نابض واحد، وهذا هو السر في انتصارهم، أما المشركون فكما رأينا حاول عدد منهم ألا يخرج للقتال، وأن يبقى في بيته خوفاً على نفسه، وغير مبال بما يصيب فريقه وجماعته.

ونحن يا إخوتي بأمسّ الحاجة في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة إلى الوحدة والتكاتف، ونبذ الخلاف والشقاق، وكل ما يدعو إلى التفرقة، لأن التفرقة ذل ومهانة وصغار، وما أصاب أمتنا من الانهزام والتقهقر والتبعية ما هو إلّا بسبب الانقسام وتنافر القلوب وتصارع الأثرة والأنانية، ولن يعود لأبناء الأمة مجدهم التليد، وعز بدر وأصحاب بدر إلّا بالوحدة والتآلف.

4 تقدير النبي ﷺ رأي أصحابه واحترامه لما يدلون به من اقتراحات وتصورات التي تمثّل مبدأ «الشورى» وأسسه، وعدم اتخاذ القرار ـ وخاصة في مثل هذه المواقف ـ بشكل منفرد، ونلمس ذلك في كثير من حيثيات المعركة، كالأخذ برأي الحباب بن المنذر في مكان نزول الجيش، وكالأخذ برأي سعد بن معاذ في بناء العريش وغير ذلك...

وهذا كذلك من أقوى أسباب النصر، لأن الإنسان عندما يحترم مبدأ الشورى يكون بذلك قد احترم عقول الآخرين، واستفاد من مواهبهم وإبداعاتهم، ولم يقتصر على محدودية عقله وخبرته، ويكون كذلك قد أشعر من حوله بوزنهم ومكانتهم في

نفسه وقراره، والأمة اليوم تكاد تكون قد فقدت هذا المبدأ العظيم، ولا أدلّ على ذلك من واقعنا المرير المزري، فكل حزب بما لديهم فرحون، لا أحد يعترف بالآخر، وكل واحد يدعي الحق وغيره على باطل!!

5 أثار بعض المشككين بتعاليم الإسلام من المستشرقين وأذنابهم من المستغربين زوبعة أقاموا الدنيا حولها، وهي أن الرسول ﷺ قد قتل ـ كما سلف ـ أسيرين من سبعين أسيراً واعُتبر الإسلام بناء على قتل هذه الأسيرين ديناً دموياً، جاء بالسيف وسفك الدماء...

والذي يدعو للعجب أن هؤلاء المشككين قد أسدلوا الستار على العذاب الواصب الذي صبه المشركون على المسلمين المستضعفين في مكة، وقتلوا من نسائهم وشيوخهم وصبيانهم، وهجروا رجالهم وشبابهم، وصدُّوا عن سبيل الله، والدعوة إلى الدين الجديد بكل وسائل الإرهاب والقمع الفكري والمادي.

ونسي هؤلاء ما أوقعه أجدادهم في الأندلس بالمسلمين العزل المستضعفين، ونسوا محاكم التفتيش التي التهبت ناراً حامية، ونسوا الحروب الصليبية التي قادوها على مقدساتنا في فلسطين وسفكوا الدماء حتى سالت أنهاراً...

ونسوا ما يوقعونه اليوم في البلدان العربية والإسلامية من قتل وتعذيب ونسف للبيوت وسلب للممتلكات وتجويع للناس وهتك للأعراض...

بل نسي هؤلاء الحرب الضارية التي شنوها على بعضهم البعض في الحرب العالمية الأولى والثانية، والتي زاد عدد القتلى على سبعين مليون من البشر، من النفوس التي خلقها الله تعالى والتي راحت ضحية الجشع والهلع والأثرة.

في حين عدد القتلى من بداية عهد النبي ﷺ بالغزوات والقتال ـ التي أخذت الطابع الدفاعي ـ إلى أن توفي النبي ﷺ ألف وثمانية عشر قتيلاً (1018)، من المسلمين (259) ومن المشركين (759)، فليقارن هؤلاء المشككون بين عدد القتلى في الحربين العالميتين في القرن العشرين الذي فاق السبعين مليون إنساناً، وبين عدد القتلى في صفوف المسلمين والمشركين من غزوة بدر إلى وفاة النبي ﷺ...

فأي دين جاء بالسيف والشر والقتل والحديد والنار؟ الإسلام أم غيره!!!

وهكذا أيها الصائمون: فإن أجدادكم ما انتصروا بكثرة عددهم وعدتهم، إنما انتصروا بثباتهم على دينهم، وصبرهم وتضحيتهم في سبيل عزهم وكرامتهم وإسلامهم، فكونوا على دربهم سائرين، ولمنهجهم مطبقين، واسألوا الله النصر والتمكين، إنه نعم المولى ونعم النصير.